دار قصص وحكايات
للنشر الإلكتروني ٢٠٢١

حكايات

الحُلم

شريف كمال

الحُلم

حكايات

شريف كمال عبد الصمد

العنوان: الحلم

النوع الأدبي: حكايات

المؤلف: شريف كمال (نبذة)

قوة السرد: كتابات شبابية

المُدقق اللُغوي: الكاتب بنفسه

اللغة: فصحى/ الحوار: عامية مصرية

التنسيق الداخلي والإخراج الفني: رمضان سلمي برقي

تصميم الغُلاف: رمضان سلمي برقي

سنة النشر: 2021

تم النشر بواسطة دار قصص وحكايات للنشر الإلكتروني2021

الدار غير مسؤولة عن أفكار الكُتّاب الواردة بإبداعاتهم؛ الكُتّاب وحدهم المسؤولون عنها.

الموقع الصفحة الجروب

إهداء

أهدى هذا الكتاب إلى كل من يحب مصر...

شريف كمال

استيقظ **أشرف من نومه مبكراً فى ذلك اليوم على غير عادته بالرغم من أنه يوم أجازته الإسبوعية .. ثم قام من سريره وفتح شباك الغرفة وأخذ نفساً عميقاً لكى يملأ رئتيه ببعض نسمات الهواء النقية المنعشة ... ثم أخذ يلف ويدور ويمشى ذهاباً وإياباً فى الغرفة ... ثم جلس على كرسى هزاز بجوار الشباك ومد نظره خارج الشباك وسرح بتفكيره فيما سيفعله فى هذا اليوم .. ثم تذكر ذلك البحث الذى كان قد قرأه قبل ذلك فى فن (إدارة الوقت) وكان يحسب إجمالى الوقت الذى يضيع خلال حياة الإنسان ... فكان يقول أن أكثر من نصف عمر الإنسان تقريباً يضيع فى النوم والأكل والمواصلات ومشاهدة التلفاز !**

أما من يفرطون فى مشاهدة التلفاز وفى الجلوس مع الأصدقاء على المقاهى فإن أكثر من ثلثى عمرهم يضيع بلا عائد أو جدوى أو فائدة.

واستغرب من الذين يعتبرون أن أوقاتهم هى أرخص شئ يمتلكونه !

ثم قرر ان ينزل الى الشارع ليشم بعض الهواء النقى .. وبالفعل دلف أشرف إلى الشارع ... وإتجه نحو محطة الأتوبيس التى كانت تبعد عنه عدة أمتار ... كانت المحطة مزدحمة جداً وأرجع أشرف السبب فى ذلك إلى أن هذا الموعد هو موعد ذهاب الموظفين إلى أعمالهم وأيضاً ذهاب طلبة المدارس إلى مدارسهم ... ركب أشرف أول أتوبيس مر بالمحطة، وكان مملوءاً عن أخره بالبشر ... ووجد نفسه سائراً داخل الاتوبيس بقوة الدفع دون أى إرادة منه فى تحديد مساره ... فتارة يجد نفسه ذاهباً إلى اليمين وتارة إلى الشمال

وتارة أخرى إلى الامام ... كسفينة عائمة تائهة فى وسط البحر تقذفها الرياح فى إتجاهات شتى ... قرر أشرف أن يترك نفسه بدون مقاومة وينتظر ليرى نفسه أين سيرسى فى النهاية ... وإستغرب كثيراً عندما كان يسمع الكمسرى أحياناً يقول للسائق " خد الناس دى عندك يا حاج محمد " فيضرب السائق فرملة شديدة تتدافع الناس على أثرها إلى الأمام فى موجات بشرية كموجات البحر العنيفة فى ليالى الشتاء الباردة وأثناء وقوفه فى الأتوبيس سمع إثنان يتكلمان عن زحام المواصلات، وسمع أحدهما يقول للأخر " هى لو الحكومة تهتم بتطوير النقل العام وتزود الأتوبيسات بأعداد كبيرة، بحيث يجى أتوبيس كل عشر دقايق، مكانش يبقى فيه زحمة بالشكل ده، وكمان الزحمة فى الشوراع حتخف كتير، علشان أصحاب العربيات الملاكى لما حيلاقوا الاتوبيسات فاضية وبتيجى بسرعة ويحسوا إنها وسيلة مواصلات محترمة حيسيبوا عربياتهم مركونة ويركبوا الأتوبيس ... يبقى الزحمة فى الشوارع حتخف ولا لأ "

رد عليه زميله " ولازم يهتموا برضه بوسائل النقل الجماعى كلها، مش بس الأتوبيسات، وأهمها مترو الأنفاق ... يعنى لازم يزودوا خطوط جديدة ولازم يرفعوا كفاءة المترو .. يعنى يهتموا بصيانته ويقللوا أعطاله ويقللوا الزمن الفاصل بين الرحلات ...

وكمان لازم يهتموا بعمل جراجات كبيرة تحت الأرض متعددة الطوابق، فى الساحات والميادين وتحت أى مساحة خالية ممكنة وفى المناطق التى عليها

طلب مرتفع على الإنتظار ... وده حيفرق كتير فى إعادة السيولة المرورية للشوارع وكمان الجراجات دى مربحة وبتدر ملايين الجنيهات وممكن القطاع الخاص يشارك فى إنشائها، وفى هذه الحالة سيتحقق عائد كبير للدولة من خلال الرسوم والضرائب وتراخيص إنشاء الجراجات وتراخيص شركات النقل الجماعى بالإضافة إلى ما سيتم توفيره من آلاف الوظائف الجديدة ... وكمان لابد من تفعيل وتطبيق القانون اللى بيلزم أصحاب العمارات والفيلات بعمل جراجات أسفل عماراتهم وبيوتهم بكل شدة وحزم ولابد من فتح جميع الجراجات الموجودة فى المبانى والعمارات وإجراء حصر ومتابعة لها ... وكمان أنا عندى فكرة حقولهالك بس مش عارف حتعجبك ولا لأ ... ممكن يخلوا كل قطاع من قطاعات الدولة ياخد أجازة فى يوم معين ... يعنى مثلاً طالما البنوك والبورصة وشركات الاوراق المالية بتاخد أجازة يوم السبت يبقى مثلاً قطاع البترول ياخد أجازة يوم الإثنين والهيئات التعليمية والمدارس تاخد أجازة يوم الأحد ... وبكدة يبقى كل قطاع بياخد أجازة يوم الجمعة بالإضافة إلى يوم تانى من أيام الإسبوع مختلف عن اليوم اللى بياخد فيه قطاع تانى أجازته ... وبكدة تبقى الأجازات متوزعة على الإسبوع كله، بدل ما معظم المصالح والهيئات بتاخد نفس الأجازة مع بعضها فى يومى الجمعة والسبت. وبكده ممكن الزحمة تخف شوية"

يرد عليه الأول ويقول " وكمان فيه حاجة حلوة بقيت ألاحظها الأيام دى ... أنا بقيت دلوقتى أشوف أصحاب الشركات اللى بينزلوا إعلانات فى الجرايد

يطلبوا فيها موظفين، بيكتبوا فى إعلاناتهم (يشترط أن يكون المتقدم للوظيفة من منطقة المهندسين مثلاً أو من المعادى أو من ٦ أكتوبر) على حسب مكان الشركة ... يعنى لو الشركة فى المعادى ليه ما يكنش معظم موظفيها من المعادى، ولو الشركة فى المهندسين يبقى معظم موظفيها من المهندسين ... وأصحاب الشركات بيعملوا كده دلوقتى علشان يضمنوا أن الموظفين ما يتاخروش عن ميعاد شغلهم الصبح ... وكمان ده حيخف من الزحمة كتير وحيخف الضغط على المواصلات ... بدل ما إحنا شايفين الناس الصبح رايحين وجايين من أخر الدنيا هنا لأخر الدنيا هناك ... ناس من ٦ أكتوبر بتشتغل فى مدينة نصر .. وناس من الهرم بتشتغل فى المعادى "

فى هذه الأثناء ردد الكمسرى جملتة التى كان يكررها بإستمرار " خد الناس دى عندك يا حاج محمد " وأيضاً فعل السائق نفس ما كان يفعله دائماً بمجرد سماعه لتلك الجملة حيث فرمل على الفور فرملة شديدة، فإندفع أشرف إلى الأمام ووجد نفسه بجوار سيدتان فى حوالى الأربعين من عمرهما وتقول إحداهما للأخرى " ياختى الراجل طلب منى أحشى له جوز حمام، يرم بيها عضمه ... رحت أشترى الحمام، لقيت الجوز بستين جنيه !! تصورى !! ستين جنيه "

ردت عليها زميلتها " ياختى مادلعيهوش كده ... أطبخيله أى حاجة ... يعنى لازم حمام "

ردت عليها الأولى " أصلى ... ثم إقتربت منها وهمست فى أذنها ببعض كلمات ... ثم إنفجرتا فى الضحك ...

بعد فترة سمع أشرف صوت سيدة فى مقدمة الأتوبيس تتشاجر مع رجل وتشتمه وتضربه بيدها ... وشاهد بعض الناس يلتفون حولها ويحاولوا تهدئتها وتخليص الرجل من يديها ...

عند هذا الحد قرر أشرف أن ينزل من الأتوبيس، ويُكمل رحلته فى مكان أخر...

نزل أشرف من الأتوبيس ونظر حوله فوجد نفسه فى حى السيدة زينب ... كانت المنطقة مزدحمة كعادتها بالناس والمارة والسيارات والعربات والمتوسيكلات والدراجات ... قرر أشرف أن يسير بشكل عشوائى فى شوارع وحارات السيدة زينب لكى يشاهد ويرى ما لم يراه قبل ذلك ... كانت البيوت قديمة والحارات ضيقة والزحام رهيب والحر شديد ... ظل أشرف يسير عشوائياً دون أن يدرى إلى أين سيذهب أو إلى أين سيصل ... فكان يدخل من شارع إلى حارة ومن حارة إلى عطفة ... إلى أن أحس بالتعب والإرهاق، فقرر أن يبحث عن مكان يستريح فيه قليلاً ويحتمى به من حرارة الشمس الشديدة ... وتلفت حوله فوجد قهوة صغيرة على بعد عدة أمتار منه ... فذهب إليها وجلس على أحد المقاعد الموجودة بها، ثم نظر نظرة سريعة خاطفة على كل الزبائن الموجودين بالقهوة ... ثم أعاد النظر إلى مجموعة من

الزبائن الجالسين بجواره والذين كانوا يتكلمون ويضحكون بصوت عالٍ مسموع ... كان أحدهم يقول للأخر:

" وفضلت أتحايل عليه علشان يوافقلى على الأجازة ... لكن تقول إيه ... دماغه زى الجزمة معندوش غير كلمة واحدة ظروف العمل متسمحش ... ظرف العمل متسمحش ... أقول له ده أنا محتاجها ضرورى ... يقولى لأ .. طب يهديك ... طب يرضيك ... وهو على كلمة واحدة ... لأ ... لأ ... لأ ... لكن أنا برضه مسكتس ... هو حيعملى فيها مدير "

قال له الجالس بجواره " أيه عملت إيه ؟"

قال له "كسرت له ذراع الماكينة المسئول عن تغيير السرعات ... وطبعاً مش ممكن تشتغل الماكينة وذلك الذراع مكسور ... لأن ده معناه أنه حتفضل الماكينة تشتغل بسرعة واحدة طول الوقت، وده ممكن يخلي الموتور يسخن أو يتحرق ... وبعد كده رحتله تانى وأنكرت أى معرفة لى عن سبب كسر الذراع .. وقولتله طبعاً أنت معندكش مانع دلوقتى تدينى أجازة، لأنه حتى لو قعدت ومخدتش أجازة مش حعرف أشتغل، لأن الذراع مكسور وحياخد على الأقل ثلاثة أيام علشان يتصلح .. يعنى الماكينة حتفضل واقفة على الأقل ثلاثة أيام ... فيبقى إيه المشكلة لو أخدت الأجازة فى هذا الوقت الميت "

قال له زميله " ورضى يديلك الأجازة "

رد عليه " طبعاً وافق ... أنت فاكرنى تلميذ "

ونظر إليه زميلة بإعجاب وقال له " والله يا أخى إنت دماغك دى بتعجبنى ... جبت الشطارة والمفهومية دى منين "

لم يرد الرجل وإكتفى برسم إبتسامة المنتصر الظافر على وجهه

حزن أشرف للغاية وشعر بالحسرة والمرارة لما سمعه من هذين الشخصين، وإستغرب من هذا المنطق المتخلف الذى يتعامل به هؤلاء الناس ... وسأل نفسه: كيف تغيرت شخصياتهم إلى الأسوأ بمقدار ١٨٠ درجة ... كيف نسوا أو تناسوا أنهم خلقوا لتفعيل رسالة وإعلاء قيمة وبناء حضارة وتشييد مجد ... كيف أصبحت المادة فقط هى شغلهم الشاغل

هنا تأكد أشرف أنه يجب قبل الإهتمام ببناء وتشييد وإقامة مصانع جديدة للشعب أن يتم إعادة تهذيبه وتصحيح مفاهيمه ومعتقداته ومبادئه ... لابد من تنميتهم ثقافياً وحضارياً وفكرياً وذاتياً ... فلا يكفى الإهتمام بالألات والمعدات والتكنولوجيا لأن العامل قادر على إهدار كل هذه الموارد والإمكانيات إذا كان مستهتراً بدون إنتماء أو ضمير أو مبادئ تحكمه وتنظم سيره.

غضب أشرف لما سمعه وقرر أن يقوم من مكانه ويجلس فى مكان أخر بعيداً عن هذا الرجل حتى لا يسمع شيئاً أخر منه يغضبه ويحزنه ... سار أشرف بضعة خطوات حتى وجد مكاناً فارغاً فى أخر القهوة ... فجلس فيه وطلب كوباً من الشاى ... كان يجلس على يمينه رجلين فى أوائل الأربعينات وكان يقول أحدهما للأخر " وبعد ماسيبت شغلى، لفيت على كل صحابى ومعارفى

علشان استلف من أى حد فيهم ٥٠٠٠ جنيه أبدأ بيهم مشروع خاص ... لكن ما لقيتش أبداً وأخر ما زهقت، فكرت أخد قرض من البنك"

رد عليه زميله " أوعى تقولى إنك رحت البنك فعلاً تطلب قرض "

" طبعاً ... رحت البنك وطلبت قرض ... لكن للأسف قالولى لازم يكون عندى شقة تمليك أو حتة أرض علشان يضمنوا فلوسهم لو معرفتش أدفعها لهم ... قولتلهم هو أنا لو كان معايا حتة أرض أو شقة تمليك أو حتى ألف جنيه، كنت جيتلكم أطلب قرض"

ضحك صديقه بصوت عال وقال " ما دى حاجة معروفة ... البنوك دى للأغنياء فقط مش لأمثالك "

يرد عليه الأول قائلاً " لو عملوا بنك للفقراء زى ما عمل كده محمد يونس فى بنجلاديش، كانت تبقى حلوة ... وكان الواحد ياخد الفلوس ويشتغل وربنا يكرمه إن شاء الله ويكسب وكانت تبقى القشية معدن وميت فل وعشرة "

يقول صديقه " يعنى إيه بنك الفقراء ده"

يرد عليه قائلاً " فكرة البنك ده تعتمد على منح الفقراء قروض متناهية الصغر لعمل مشروعات صغيرة يتكسبون منها ثم يسددون بعد ذلك هذه القروض على أقساط ... وأول من أنشأ بنك للفقراء هو د/ محمد يونس اللى أخذ جائزة نوبل فى السلام "

ثم نظر أشرف على يساره فوجد رجلين أخرين يقول أحدهما للاخر" وبعد ما صحيت الصبح ولبست هدومى وقعدت أفطر مع الأسرة قبل الذهاب إلى العمل ... وقَّعت بنتى الصغيرة فنجان القهوة على قميصى ... ومن غيظى صرخت فى وشها وشتمتها ... وطبعاً قعدت البنت تبكى وتصرخ ... ثم إلتفت إلى مراتى ووبختها بسبب وضعها فنجان القهوة على حافة الترابيزة ... وحدثت مشادة كلامية بيننا، وبعدين سيبتهم ورحت ألبس قميص تانى ... وبعد كده لما رجعت لقيت البنت لسة بتعيط ومكملتش فطارها ومستعدتش علشان تروح مدرستها .. وطبعاً ماركبتش أتوبيس المدرسة علشان ملاحقتش تلبس ولا تجهز شنطتها .. وإضطريت أوصلها للمدرسة بعربيتى ... وطبعاً كان لازم أسوق بسرعة علشان كنت متأخر وعايز ألحق شغلى ... وبعد كده وصلنا للمدرسة ونزلت البنت بسرعة من العربية من غير ما تسلِّم علىَّ ... وبعد ده كله رحت الشغل متأخر حوالى ثلث ساعة وإكتشفت إنى نسيت فى البيت شنطتى إللى كان فيها ورق مهم يخص الشغل ... وطبعاً بعد الشغل رجعت البيت لاقيت مراتى وبنتى لسه زعلانين منى بصراحة كان يوم غريب مليان بالأحداث والمشاكل "

رد عليه زميله : المشكلة مش فى اليوم ... المشكلة فى رد فعلك السيئ ... لو مكنتش عملت مشكلة لما بنتك وقعت عليك فنجان القهوة ولو كنت أخدت الموضوع ببساطة وقلتلها مثلاً " ولا يهمك يا حبيبتى ... مش مشكلة ... ولكن المرة الجاية إبقى خدى بالك " وبعد كده تروح بهدوء تغير قميصك

وتاخد شنطتك وأوراقك وتودع بنتك وهى بتركب الاتوبيس .. وبعدين تروح شغلك قبل ميعادك وتحيى زملاءك بكل مرح وإبتهاج وسرور... فلو كنت فعلت ذلك كان سيتحول يومك من يوم عصيب ملئ بالمشاكل والتوتر والعصبية إلى يوم هادئ سعيد ملئ بالمرح والسرور والإنجازات... ثم إستطرد قائلاً " إنت فكرتنى بكتاب قرأته منذ فترة كان المؤلف بيتكلم فيه عن قاعدة إسمها " ٩٠ /١٠ "

يعنى ١٠% من الأحداث التى تحدث لك ليس لديك أى سيطرة عليها ولم تتسبب أنت فى حدوثها ولا تستطيع أن تتحكم فيها ... بينما ال٩٠% الباقية من الأحداث التى تحدث لك، أنت المسئول عن حدوثها وتستطيع أن تقودها وتتحكم فيها عن طريق رد فعلك تجاه ال١٠% من الأحداث التى ليس لديك أى سيطرة عليها ... يعنى لما وقعت بنتك فنجان القهوة على قميصك، ده حدث يدخل فى ال١٠ % من الأحداث التى ليس للفرد أى سيطرة عليها، ولكن كل الأحداث التى حصلت بعد كده، حصلت بناء على رد فعلك السلبى الذى قمت به عندما وقع فنجان القهوة عليك والأحداث دى بقى بتدخل فى ال ٩٠%... فعندما غضبت وثورت سار يومك بطريقة خاطئة وحدثت لك أحداث ومواقف سيئة، بينما لو كنت تصرفت بهدوء وفطنة وذكاء كان سيسير يومك بطريقة أفضل وأروع وأكثر جمالاً ".

ثم سمع بعض الأشخاص الذين يتكلمون عن إنتشار ظاهرة "العنف فى المدارس" ويتكلمون عن هذا الذى إعتدى على زميله بالضرب وذاك الذى إعتدى على معلمه بالسب والقذف!

حزن أشرف لما سمعه وأخذ يفكر فى سبب ظهور هذه المشكلة، وأفرزت قريحته بعد تفكير عميق عن بعض الأمور التى شعر بأنها ساهمت بشكل أو بأخر فى زيادة وطأة الأمر وحدته ..

أولاً : تقلص دور الأسرة فى التربية وإنشغال الأب والأم بتوفير الإحتياجات المادية لأولادهم من مأكل ومشرب وملبس دون توفير الإحتياجات المعنوية كالحب والحنان والأمان وتقاعس الوالدين عن أداء دورهما فى تصحيح الأخطاء التى يرتكبها الأولاد، وإكسابهم السلوك القويم والأخلاق الحسنة والمبادئ الجيدة.

ثانياً : عدم الإهتمام بالمدرس وزيادة مستواه التعليمى والتربوى والعلمى وإعطائه الدورات التدريبية لتدريبه على أحدث أساليب التربية والتعليم لأن عدم تمكن المدرس من مادته ونقص قدرته على إيصال المعلومة إلى الطلبة بالطريقة المناسبة يفقدهم الثقة فيه ... كما يجب أيضاً زيادة مرتبه إلى أقصى الحدود حتى لا يضطر إلى اللجوء إلى الدروس الخصوصية لكى تعود هيبته من جديد.

ثالثاً : عدم وجود أنظمة رادعة ولوائح واضحة وكفاءات مؤهلة لمعالجة مثل ذلك السلوك السيئ، وعدم إتباع سياسة الثواب والعقاب وتساهل المدرس فى إتخاذ الإجرءات الصارمة ضد الطلاب العدوانيين.

رابعاً : إنتشار العنف داخل الأسرة.

خامساً : من أسباب العنف الطلابى قسوة بعض المعلمين على الطلبة وإستخدامهم لأساليب غير تربوية كالعقاب البدنى غير المبرر والإستهزاء بالطالب وعدم إحترامه ومراعاة شعوره وتوبيخه المستمر ... حيث أن ذلك يعمل على إيجاد جو من الإضطراب والتوتر والعدائية بين الطالب والمدرس.

سادساً : لابد من وجود الأنشطة المدرسية لأهميتها فى تنشئة الطالب نفسياً وسيكولوجياً وفسيولوجياً وتزويده بالجوانب المعرفية والتعليمية وتدريبه على التفكير الواقعى.

سابعاً : حث الطلبة على السلوك الحسن عن طريق التراث الدينى وقصص الناجحين وتحذيرهم من أصدقاء السوء وتشجيعهم على الحوار داخل المدرسة والعمل على توطيد العلاقة بين الأسرة والمدرسة ومد أواصر الإتصال والتواصل بينهم.

ثم وجد أشرف شاب فى أواخر العشرينات يجلس فى ركن بعيد مع فتاة تصغره بعدة أعوام ، وعرف من نظراتهما لبعضهما أنهما يعيشان قصة حب ملتهبة متأججة، فقد كانا تقريباً لا يتكلمان وإنما كانا ينظران لبعضهما نظرات يملؤها العشق والغرام والهيام، كان كل واحد منهما ينظر إلى وجه الأخر

ويدقق فى تفاصيله وكأنه يريد أن يحفظها عن ظهر قلب ... كانا لا يشعران بما يدور ويجرى من حولهما وكأنهما فى عالم فسيح خصص لهما وحدهما ولا يقطنه غيرهما ... عالم جميل ملئ بالزهور والورود والحب والحنان والأمان ... كان كلاً منهما ينظر فى عين الأخر وكأنه ينظر إلى ينبوع غزير يتدفق بالجمال والطاقة والروعة والحب، وكأنه يريد أن يتزود منه ويروى ظمئه وعطشه ... كانا يقتربان من بعضهما وسخونة أنفاس كل منهما تلفح وجه الأخر ... كان يخرج من عينهما شعاع قوى يصل إلى الأخر فيدفئه ويسعده وينقله إلى عالم ملئ بالأحلام والأمنيات ويجعله يرفرف فى السماء وكأنه طائر يسبح فى فضاء واسع فسيح ... كانت أصواتهما كزقزقة العصافير وتغريد البلابل والطيور ... كانا يعزفان بأصواتهما على قيثارة الحب أحلى سيمفونية سمعها عالم العشاق الملئ بالحب والحنان.

كانت عينيها تطلب منه كلمة حب .. لمسة حانية .. شكر دافئ .. إطراء رقيق .. إهتمام صادق .. مشاركة فى أمورها .. ربتة على كتفها وخصوصاً فى وقت الشدة .. أن يستمع إليها حتى فى تفاهاتها ...

وكانت عينيه تطلب منها الثقة .. القبول .. التقدير .. الإعجاب .. الموافقة .. التشجيع ..

كما سمع أحد الجالسين يحكى لصديقه الذى يجلس بجواره عن أهمية صناعة الروبوتات حيث *يعتبر مجال الروبوتات "Robotics" واحدًا من أهم تخصصات المستقبل، كما إنه فرع من العلوم يشهد تطوّرًا ونمواً لا مثيل*

لهما، ويتوقّع أن يكون من أكثر التخصصات المطلوبة في سوق العمل مستقبلا.

ثم سمع أشرف شخص يصفق للقهوجى ويقول له بصوت عال " هات يا محمود واحد شاى بلبن منه فيه وواحد شاى ميزة سكر بره "

وما أن أفعل ذلك حتى نظر إليه الشخص الذى كان يجلس بجواره نظرة يملؤها الإستغراب والإستنكار فى أنٍ واحد ... ثم قال له " إيه اللى إنت عملته ده ؟ "

رد عليه الشخص الذى نادى على القهوجى " عملت إيه ؟ "

فسأله الأخر " إنت ليه صقفت كده ؟ "

فرد عليه " علشان الجرسون يجيلى .. "

رد عليه زميله " هو انت متعرفش يابنى أن التصقيف حرام "

رد عليه الأخر " يا راجل ... والله ما عرف ... إنما حرام ليه ؟ "

رد عليه " وكمان ما تعرفش ليه حرام .. حقولك يا سيدى .. زمان كان الكفار لما يلاقوا الرسول عليه الصلاة والسلام بدأ فى الصلاة هو وأصحابه يبدأوا يصفروا ويصقفوا علشان يشوشروا عليه ويلهوهم عن الصلاة ويصرفوا الناس عنهم، وربنا إتكلم عليهم فى الأية الكريمة (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ...) والمكاء هو التصفير، والتصدية هى التصفيق ... وعشان كده التصفيق والتصفير يعتبر تشبه بالمشركين "

رد عليه الأخر " يا نهار إسود ... تشبه بالمشركين ... والعياذ بالله ... أنا مكنتش أعرف والله ... أستغفر الله العظيم يا رب ... أستغفر الله العظيم يا رب ... كويس إنك نبهتنى ... ربنا يفتح عليك ... ربنا ينور طريقك ويزيدك من علمه كمان وكمان ... توبه من دى النوبة إن أصفَّر تانى أو أصفَّق ... يبقى عشان كده الحاج أبو إسماعيل لما بيكون قاعد فى القهوة ويحب ينادى على الجرسون مش بيصقفله زينا، إنما بيخبطله بإيده على الترابيزة ... وأنا اللى كنت باستغرب وبسأل نفسى هو بيعمل كده ليه، أتريه طلع فاهم ومتنور وصاحب علم"

حزن أشرف من ذلك الرجل الذى إقتنع بتلك الفتوى ولم يُعمل عقله ولم يستفتى قلبه ونفذ الفتوى دون أن يفكر فيها وفى أسبابها ومبرراتها، كما حزن على ذلك التفكير الضيق المضمحل لذلك الرجل الذى عمم الفتوى على كل من يصفر أو يصفق ونسى أن الأعمال بالنيات ... فإذا كانت نية الذى يصفق ويصفر هى التشويش على أعمال الخير والتشجيع على الشر ونشره وإشاعته كما كان يفعل المشركون عندما يقوم المسلمون للصلاة ... فهذا بالطبع حرام لأن به إعانة على المنكر ومنعاً للخير، بل الأكثر من ذلك أنه لو قام شخص إلى الناس وهم يصلون وبدأ يقرأ القرأن بصوت عال يشوش عليهم فقراءته للقرأن حرام، وحاله كحال المشركين الذين كانوا يصفرون ويصفقون.فكل من يشوش على الناس ويؤذيهم ويشغلهم عن الصلاة ويقطع خشوعهم فهو آثم.

أما إذا كان التصفيق للتشجيع المحمود كتشجيع الدكتور على محاضرته والشاعر على قصيدته فهو مباح ولا بأس به وتحريمه يحتاج إلى دليل لأن الأصل هو الحل والإباحة.

بل أن هناك حاله من الحالات يعتبر التصفيق فيها أمر واجب أو مستحب وهو تصفيق المرأة فى الصلاة إن أخطأ الإمام فالنبى عليه الصلاة والصلام يقول " إذا نابكم شئ فى صلاتكم فليسبح الرجال ولتصفق النساء " فلو لم يكن أحد من الرجال قد علم بسهو الإمام فواجب على من علم من النساء أن يصوبه.

ثم إلتفت أشرف يميناً فوجد رجلاً يتكلم مع صديقه عن الدول التى نهضت وتطورت وأصبحت من الدول المتقدمة فى ظرف سنوات قليلة .. وكان رأيهما أن البداية لابد أن تكون من الشعب وليس من الحاكم .. فلا يمكن أن يتقدم بلد وشعبه جاهل أو متخلف .. وهذا هو معنى الأية الكريمة التى تقول: (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم)

فبالنظر إلى هذه الأية نجد أنها تركز على أن الشعب هو الأساس فى توجيه الأمة وإمساك زمام الأمور بها وإصلاحها والنهوض بها ... فإن صَلُح الشعب تولى عليه حاكم صالح يعينه على النهوض بالبلد والعمل على تقدمها ورفعة شأنها. ومن هنا يجب على كل فرد من أفراد الشعب أن يقوم بواجبه وأن يؤدى عمله على أكمل وجه لكى يساعد فى دفع عجلة الإنتاج ويساهم ولو بقدر بسيط فى تقدم بلاده ورفعة شأنها.

فكل واحد منا هو عالم بأكمله .. إن طور وحسن من نفسه سيتغير ويتطور عالمه المحيط به بكل تفاصيله.

فالطبيب الذى يقوم بعمليات وهمية لا يحتاجها المريض من أجل بعض المال ، يهدم بلاده.

والتاجر الذى يرفع الأسعار ويحتكر السلع ويغش فى الميزان، يهدم بلاده.

والمدرس الذى لايقوم بواجبه ولا يرضى ضميره، يهدم بلاده.

والمسؤل الذى يعقد صفقات مشبوهة ليحصل منها على عمولات بالملايين يجنيها من أرواح الأبرياء من أبناء وطنه يهدم بلاده.

يجب على كل منا أن يتطهر وينقى نفسه وقلبه من الشوائب ويحاسب نفسه قبل أن يحاسب غيره.

ثم سمع هذا الحوار بين رجلاً وصديقه الذى يجلس بجواره :

الأول : " مش تباركلى "

الثانى: " ألف مبروك ... بس على إيه "

الأول: " أنت متعرفش إنى بقيت رئيس مجلس إدارة الشركة اللى بشتغل فيها"

الثانى : يا راجل ... من إمتى ؟ "

الأول : "من حوالى شهر كده "

الثانى " ألف ألف مبروك ... والله إنت تستهلها ... هو انت بتشتغل فى الشركة دى من إمتى ؟ "

الأول : " من ساعة ما تخرجت من الكلية ... يعنى من حوالى أربعة وتلاتين سنة ... أربعة وتلاتين سنه تعب وكفاح وعمل دائم ومتواصل ... أربعة وتلاتين سنة إخلاص وتفانى ... الصبح بشتغل فى الشركة وبالليل بكتب تقارير وإقتراحات ودراسات جدوى لمشروعات جديدة "

الثانى : " وأكيد مرتبك زاد وبقيت تاخد شئ وشويات ... أنا مبحسدش ولا حاجة ... أنا بس بدردش معاك "

الأول : أهو من ساعة ما ترقيت والناس كلها بتقولى نفس الكلام ... باصين للمرتب بس ... مش باصين لحرقة الأعصاب وحرقة الدم اللى الواحد بيشوفها فى الشغل ... مش باصين للمسئولية الرهيبة اللى إتحطط على كتاف الواحد من ساعة ما ترقى ... مش باصين إنى لو أخدت قرار واحد غلط ممكن يودى الشركة فى ستين داهية وممكن أتحط فى السجن ... مش باصين إنى بقعد بالليل فى البيت مشغول وعمال أفكر حعمل إيه بكرة فى المشكله دى وحاخد قرار إيه فى المشروع الفلانى وحقول إيه للعميل العلانى وإيه اللى حيجرى فى المناقصة دى وحعمل إيه مع المورد ده ... كل ده وهما قاعدين مبسوطين بيتفرجوا على التليفزيون وبياكلوا ويشربوا وبالهم مرتاح ومش حاملين هم حاجة ... المشكلة إن كل واحد مركز فى الحاجة اللى مش عنده .. ومش واخد باله من الحاجات الكتيرة اللى معاه ... يعنى تلاقى واحد زعلان علشان ممعهوش فلوس لكن مش مقدر النعم اللى عنده

زى راحة البال والصحة والأولاد وهكذا ححكيلك حكاية يمكن تفهم منها اللى أقصده ..

كان هناك فلاح يعيش فى إحدى القرى الزراعية وكانت لديه بقرة قوية سمينة ... وفى إحدى الليالى نسى الفلاح أن يُغلق باب المنزل وإستطاعت البقرة أن تفك وثاقها ... فخرجت من مكانها وانطلقت خارج المنزل، هائمة على وجهها طوال الليل ... لتجد نفسها فى الصباح فى غابة كبيرة على بعد أميال وأميال من موطنها الذى كانت تعيش فيه ... وتلفتت البقرة حولها لتجد قطيع من البقر المتوحش على بعد أميال منها، وعندما اقتربت منه وجدت بقرة من القطيع تجلس بمفردها فرقدت بجوارها ودار هذا الحديث بينهما :

المتوحشة: إننى أرى هيئتك بصفة عامة كهيئة البقر ... ولكن هناك بعض الإختلافات بيننا وبينك.

المستأنسة : وما هى تلك الإختلافات ؟

المتوحشة : أين هى قرونك الطويلة القوية الحادة مثلنا ؟

المستأنسة : وما فائدتها لى ؟

المتوحشة : وهل لك وسيلة دفاع أو هجوم غيرها ؟

المستأنسة : ليس هناك معتد أثيم لكى أدفع بقرونى إعتدائه علىَّ ... ولا يتاح لى أبداً فرصة الهجوم من جانبى.

المتوحشة : ألذلك ضمرت قرونك وانحسرت وكادت تتلاشى؟

المستأنسة : إن العضو له مبررات وجوده ... فلما قلَّت المبررات وكاد ينعدم العراك ... إضمحلت وضمرت القرون.

المتوحشة : والشعر الكثيف ... والجلد السميك ... أين ذهب عنك ؟

المستأنسة : أنا لا أتعرض لبرد الشتاء ولا لحر الصيف ... ولذلك نحل عنى الشعر ... ورق منى الجلد.

المتوحشة : ومن أين أتاك كل هذا اللحم والشحم ؟

المستأنسة : لأننى لا أسعى إلى الطعام ولا أبحث عنه ولا أجدَّ ولا أكدَّ من أجله أبداً ... بل هو الذى يسعى إلىَّ محمولاً وإذا إمتنعت عن تناوله شاع الحزن والأسى بين المحيطين والمجاورين الذين يقومون على خدمتى ورعايتى.

المتوحشة : وطبعاً يقدم إليك الطعام بكميات وفيرة وإلاَّ لما كانت كل هذه الضخامة والوفرة.

المستأنسة : طبعاً ... طبعاً ... ولابد أن يتبقى من الطعام ما هو فوق حاجتى وطاقتى.

المتوحشة : ومن هو سر تلك الرائحة الكريهة العطنة التى تنبعث منك ؟

المستأنسة : إنها ناشئة من إحتجازى فى مكان محدود مُسيَّج، طوال نهارى وليلى ... بل طوال حياتى ... أتناول فيه طعامى ... وأقضى فيه حاجتى ... وأنام فيه ملئ جفونى.

المتوحشة : وماذا يجبرك على البقاء فى هذا المكان المحدد؟ أليست أرض الله واسعة.

المستأنسة : يجبرنى وثاقى ... الذى شُد به على رأسى وعنقى ... فحدد إقامتى وتواجدى فيه.

المتوحشة : وماذا عن ضرعك المتورم والمنتفخ الذى هو يفوق فى ضخامته عشرة ضروع لبقرات من شقيقاتى.

المستأنسة : لأن الذين كنت أعيش فى منزلهم كانوا يُفرغون ضرعى من اللبن تماماً مرتين فى اليوم ... مرة قبل الشروق ... ومرة بعد الغروب ... مما أدى إلى ترهل ضروعى وتضخمهم وإتساعهم.

المتوحشة : ومن هم هؤلاء الذين كنتِ تعيشين فى منزلهم ؟

المستأنسة : أولئك هم خدامى وأتباعى ... يُحضرون لى الطعام والشراب ويقومون على رعايتى ويسعفوننى بالرعاية والعناية والعلاج إذا ما ظهر علىَّ الألم أو المرض.

المتوحشة : ألم تكونى مع قطيع من الأبقار فى الغابة مثلنا؟

المستأنسة : لا .. لا .. إننا نعيش فرادى ... كل واحدة منا فى منزل من منازل بنى الإنسان ... وكل واحد منهم يحمل عنا كل متاعب الحياة وعنائها كما أسلفت.

المتوحشة : إن بنى الإنسان هذا رؤوف عطوف كريم حليم خدوم لديه من الإيثار ما لم يُرى مثله من مخلوق سواه .

المستأنسة : ما هذا ؟ ماذا تقولين ؟ بل هو ذو أثره وأنانية لا مثيل لها؟

المتوحشة : كيف تصفينه بالأنانية وهو الذى يحمل عنك عناء الحياة وثقلها ويتكفل بطعامك وشرابك وعلاجك ويوفر لك المأوى والحراسة من المعتدين.

المستأنسة : أتعتقدين أنه يقوم على خدمتى ورعايتى بدون مقابل ... لوجه الله تعالى ؟

المتوحشة : وماذا عندك أو لديك لتقدميه له ؟

المستأنسة : إنه يأخذ ولدى ونتاجى ليذبحه ويأكل لحمه ... ثم يغتصب اللبن الذى كنت أدخره له حتى يبلغ أشده ... ثم يشدد علىَّ الوثاق والخناق فأجر له الساقية والمحراث ... ليغرس ويزرع ثم يجمع حصاده ليخزنه ويأكل من حبه وثمره.

المتوحشة : ألهذا تصفيه بالأنانية ؟

المستأنسة : وماذا تطلقين على من يتحكم ليس فى مصير وحياة غيره فقط، وإنما فى مصير نسله وخلفته من بعده؟

المتوحشة : ولماذا لا تهربين وتفرين ؟

المستأنسة : لأنه يشد علىَّ الوثاق ويُغلق من دونى الأبواب.

المتوحشة : ولماذا لا تثورين وتتمردين ؟

المستأنسة : أثور واتمرد !! وهل أملك أن أعصى له أمراً أو أُبدى له تأففاً أو إحتجاجاً؟

المتوحشة : وما الذى يمنعك ... أهو ذو بطش شديد يثير الذعر والهيبة ؟

المستأنسة : إن له عندنا هيبة كبيرة ولكن ليس مصدرها شدة بطشه أو قوته.

المتوحشة : فمن أين جاءته تلك الهيبة إذن ؟

المستأنسة : إن كلانا درج على ميراث ذلك وإعتياده

المتوحشة : ميراث ماذا؟

المستأنسة : ورث هو المهابة وإعتادها وورثنا نحن هيبته وإعتدناها ... وإتفقنا على السيطرة منه ... والخضوع والخنوع منا.

المتوحشة : وهل سترجعين إليه ثانية ؟

المستأنسة : أنا لن أعود إلى الوثاق مرة أخرى.

المتوحشة : إن عنف الوثاق ومذلته يهون فى سبيل من يرفع عنك كل مطالب الحياة وعناؤها ومخاطرها.

المستانسة : إننى لو عدت فسوف يضيف إلى وثاقى، وثاقين أو ثلاثة حتى لا يتكرر الهروب.

المتوحشة : وثاق واحد أو وثاقين لا يهم ... إنما المهم أن يكفلنى ويرعانى ويكفل غذائى الوفير الشهى ... وشرابى الصافى النقى ... وأمانى وإطمئنانى من الأعداء ... ألا يهون الوثاق فى سبيل ذلك !! ماذا أريد بعد توفر كل هذا؟ ماذا ينقصنى؟

المستأنسة : ينقصك حياتك يا أختاه ... تبيعين حياتك وعمرك وتشترين الطعام ... تفقدين رسالتك ودورك فى الوجود من أجل الشراب النقى الصافى ... تلغين وجودك وكيانك من أجل الأمان والإطمئنان.

المتوحشة : إنه ليستوى عندى أن أكون عبد ذليل عنده أو عبد ذليل للطعام فى الغابة أو فى البيداء.

المستانسة : أأنت عازمة حقاً على الذهاب إليه ودخول السجن والأسر راضية مرضية ؟

المتوحشة : نعم يا أختاه

المستأنسة : أنت الجانية على نفسك ... أما أنا فأفضل أن أموت جوعاً أو بين أسنان الأسد ولا أعود إلى ذل العبودية والهوان، بين جدران حجرته وغليظ حبله على رقبتى وذبح وليدى أمام عينى.

المتوحشة : إنك ترفضين العودة لأنك تتذكرين آلام الوثاق والوحدة الذى عشتيه وعانيتى منه، أما حبل الجوع عندما يلتف حول معدتك فأنت لا تعرفى مدى وجعه وشدة عضته، ومرارة وذل الظمأ، والتهديد بالقتل فى كل لحظة من نمر فى أعلى شجرة أو أسد مختبئ فى اكمه أو مجموعة ذئاب تلتف حول الشاردة ...

المستأنسة : فى أمان الله ورعايته ... وأعهد إليك بأمانة تبليغه السلامات والتحيات.

المتوحشة :

إلى اللقاء أيتها الحبيبة.

إنصرفت المتوحشة وهى تغنى وتقول :

تستوى العبودية إن كانت للبيداء أو للإنسان

فهى ذل وقسوة وعند كلاهما أجد الإهانة والإمتهان

وما دام قد إستويا فى شرهما ... فلماذا نترك الأمان

سأحيا وحيدة مغلولة ..ولكن فخرى أن يخدمنى سيد الأكوان

يقوم على شأنى ذلك الإنسان .. فأكون سيدته ويكون هو المهان

وعندما سمعت المستأنسة هذا الغناء ضحكت ضحكة صفراء يملؤها السخرية والإستخفاف وأخذت هى الأخرى تنشد وتقول :

باعت نفسها من أجل ملئ بطنها

إن عز الحياة لا يباع بقدر ملئها

فى ذل العبودية لا يستساغ معه طعمها

ومن لم تجرب .. تتصور وتجمِّل فى تصويرها

وتأمل وتبالغ فى الأمل ... حتى تصتدم بخيبة رجائها

دخلت البقرة إلى صحن الدار حيث كان الباب مفتوحاً ، وعندما رأها الفلاح صاح قائلاً " بقرة ... بقرة ... فى دارنا بقرة ... لقد عوض الله علينا ... يا ما أنت كريم يا رب ... لك الحمد ولك الشكر يا عطَّاء يا منَّان ...

جاءت زوجة الفلاح مسرعة ونظرت إليها وقالت " ألف حمد وألف شكر لك يا رب ... ربنا بعث بها إلينا لأنه عالم برقة حالنا وبساطة حياتنا " ثم نظرت إليها ثانية وأمعنت النظر فيها ثم قالت " بس شكلها غريب !! شكلها غريب كده ليه !! ضرعها صغير جداً لدرجة الإلتصاق ببطنها وقرونها طويلة حادة

وكأنها السهام المشرعة فى وجه أعدائها وتبدو نحيلة هزيلة كأنها خارجة من القبور"

رد عليها زوجها : إنها جبلية ... إحضرى الحبال والسلاسل بسرعة علشان نربطها ... ثم ألقى إليها ببعض البرسيم لكى تأكل

تشم البقرة رائحة البرسيم فتجد له رائحة لم تعتادها ، وتنظر إلى الجدران الأربعة فتتعجب من ضيق المكان وحدوده ... وترفض الطعام حيث لا تعرفه ولم تراه من قبل.

الفلاح : لماذا لا تأكلين ؟ أتشعرين بالغربة ؟ أم أن الأكل لا يناسبك ؟

ثم يذهب الفلاح ويحضر لها بعض البذور ويضيف إليها بعض النخالة ثم يضعه أمامها ... فتأكل منه البقرة قليلاً ثم تمتنع

الفلاح محدثاً نفسه : ماذا كنت تأكلين؟ ماذا أحضر لك!!

تمر الأيام والبقرة ممتنعة تقريباً عن الأكل ... وفى إحدى الأيام ينادى الفلاح على زوجته ويقول لها " خمسة عشر يوماً مرت على البقرة دون طعام إلا ما يمسك عليها حياتها فقط ... أيه العمل دلوقت ... البقرة مانعة الطعام .. حتموت من الجوع "

ترد عليه زوجته " بيعها ... بيعها يا محمود ... عليك بالمعلم حمدان الجزار ... انهض ... خليه يشتريها واقبض ثمنها واشترى به بقرة من حدانا .

وبالفعل يتفق محمود مع حمدان الجزار على بيع البقرة له ويفك وثاقها ويعطيها لحمدان الذى أخذ يجرها خلفه ... وفى منتصف الطريق تضرب

البقرة حمدان بقرونها وتولى هاربة إلى موطنها الأصلى (الغابة)... وفى الطريق تقابل البقرة المستأنسة وهى عائدة إلى منزل محمود الفلاح ... فجلسا يتحدثان عن حالهما :

المتوحشة : كيف ترضى بالعيشة فى حجرة ضيقة .. رطبة .. مبتلة .. إن الحشرات والزواحف سكنت فى جلدى حتى تشقق.

المستأنسة : أليس هذا ما كنت تحسدينى عليه ؟

المتوحشة : وماذا فعلت أنت بحرية الصحراء وإنطلاقها؟ ألم تروقك؟

المستأنسة : لقد شققت حرارة الشمس جلدى وضروعى وكدت أهلك من الجوع والعطش ... ولذلك قررت العودة إلى محمود الفلاح.

المتوحشة : ما هذا الذى نفعله؟ هل خلقنا من أجل الصد والرفض والتمرد ؟ أعدم الرضى بالواقع والإحتجاج الدائم عليه هو مقوم الحياة الاوحد؟

المستأنسة : إنه هو ذاك بعينه ... وإلا فكيف يحل بنا المكابدة والشقاء؟

المتوحشة : وهل خلقنا لنبحث عنه ونعانيه ونقاسيه؟

المستأنسة : لا يا ذات القرنين .. لم نخلق لهذا وإنما هو لقصور تفكيرنا وعدم فهمنا لحقيقة الحياة المتجلية فى طبائع وخصائص أمور الحياة وجوانبها.

المتوحشة : كيف ذلك ؟

المستأنسة : فأهل البادية مثلاً يضيقون ذرعاً بما ينغص عليهم حياتهم من مساوئ وشر الصحراء ونوازلها من حر وجدب وصراع وينسون أو يتناسون مميزاتها وفضلها حيث رحابة المكان ونقاء الهواء.

المتوحشة : وكذلك أهل الحضر يتبرمون ويسخطون على مساوئها التى تؤلمم ولا يقدرون ما فيها من نعم وفضل حيث أنهم ألفوه واعتادوه.

المستأنسة : لذلك يسخط كل منا على واقعه ويتمنى تغييره بأن يحل محل الأخر الذى يحسده على النعيم الذى يحياه ويغوص فيه.

المتوحشة : ولا يحاول أن يتعرف على الجانب المظلم لدى الطرف الأخر ... الذى تختبئ بداخله الهموم والمشاكل التى يتوجع منها ويتألم لها ويشقى معها.

وبينما هما يتباحثان ويتجادلان ... إذ بقطيع من الذئاب يباغتهما ويلتف حولهما ويحكم الحصار عليهما ثم يبدأ القطيع فى إفتراسهما ... وأثناء ذلك أخذتا البقرتان تصرخان وتضربان الأرض بأرجلهما وتقولان :

كل مخلوق يتمرد على واقعه من أجل فضل فى الحياة

ولا يدرى إن كان التمرد سيخفف أم سيزيد عبئ الحياة

وأحياناً أثناء سعيه قد يحفر قبره بظلفه فتكون نهاية الحياة

ثم سمع مجموعة من الأشخاص يتكلمون عن أهمية الصناعة ودورها الكبير فى تحسين إقتصاد الدول ونهضتها وتقدمها ومساهمتها العظيمة فى تحسين مستوى دخل الأفراد ولذلك لابد للدولة من دعم المصنعين وتقديم كل

التسهيلات لهم حتى يتمكنوا من إنتاج وحدات جيدة وبسعر عادل يستطيع المنافسة وتساءل أشرف لماذا لا يتم إنشاء هيئة للرقابة على جودة المنتجات المصرية ومدى مطابقتها للمعايير والمواصفات القياسية وإذا كانت هذه الهيئة موجودة فلماذا لا يتم تفعيل دورها وتعظيمه وإعطاؤها جميع الصلاحيات التى تمكنها من أداء عملها.

وأيضاً يكون لهذه الهيئة الحق فى منع نزول السلع إلى الأسواق فى حالة عدم مطابقتها للمعايير والمواصفات. وتقوم هذه الهيئة بإستقبال شكاوى المواطنين التى تتعلق بعيوب الصناعة والتحقيق فى شكواهم ومحاسبة المقصرين والمخطئين وتوقيع جزاءات رادعة عليهم.

ثم سمع شخصاً يمسك بجريدة فى يده و يقول لأصدقائه الجالسين بجواره " إسمعوا يا جماعة الخبر ده ... أدَّى اليوم صلاة العصر الآلاف من المسلمين، أمام الكاتدرائية المرقسية فى العباسية، للمطالبة بظهور كاميليا شحاتة، والتى يتهمون الكنيسة باختطافها لمنعها من إشهار إسلامها"

واستغرب أشرف من هذه الضجة الكبيرة التى تحدث كلما أسلم شخص مسيحى أو تنصر مسلم ، فتقوم الدنيا ولا تقعد، وتبدأ صيحات الفرحة والإنتصار فى الإنطلاق من الجانب الذى إنضم إلى ديانته هذا الشخص .. كما تنطلق صيحات الغضب والتحذير والوعيد والتهديد من الجانب الأخر الذى ترك الشخص ديانته. فالمسلمون يعتبرون أن إسلام هذا المسيحى هو إنتصار كبير للإسلام، فيهللون ويكبرون وتتعالى أصواتهم بالفرحة والنصر،

وعلى العكس من ذلك يعتبرالمسيحيون هذا الأمر ذلة وضعف وإنكسار للمسيحية فيحتجزون هذا الرجل أو تلك الفتاة ويحاولون إقناعها بعدم ترك المسيحية ويضغطون عليها وينقلونها من مكان إلى مكان ويتكتمون على أمرها ويخفونها وكأن المسيحية سوف تنتهى أو سينتقص منها شئ إذا أسلم هذا المسيحى أو تلك المسيحية، فهذه التصرفات التى تحدث من الجانبين هى التى تجعل الناس يهتمون بالأمر ويركزون عليه وتتناقله وسائل الإعلام. أما لو مر الأمر مرور الكرام فلن يعرف به و لن يهتم به الناس لأنه سيصبح مثل أى أمر عادى يمر بدون مشاكل.

وسأل أشرف نفسه : لماذا لا تحدث هذه المشاكل فى أوربا أو أمريكا مع أن أمريكا مثلاً بها مئات الأديان والمعتقدات ؟ لأنهم هناك لا يجبرون أحد على إتباع دين معين ولا يجبرون أحد على إقامة فرائض وشعائر وتعاليم هذا الدين، فالدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة وليست بالإجبار، كما أنهم لا يفرقون بين أصحاب الديانات المختلفة ولا يتعاملوا مع الناس بحسب دياناتهم، ولا يتجنبوا أو ينبذوا أو يكرهوا أو يتجاهلوا من يختلف عنهم فى دينهم، ولا يقومون بتوظيف أصحاب دياناتهم ويتركون أصحاب الديانات الأخرى بدون عمل ... فالكفاءة هناك هى المعيار الرئيسى المتبع فى إختيار الأفراد وليس الدين، كما أنهم لا ينظرون إلى غيرهم ولا يتتبعون عوراتهم وعيوبهم . طالما هذه العيوب لا تضر أحد . ولا يتباهون بتمسكهم بدينهم حتى يظهروا أمام الناس بمظهر الشرفاء الأتقياء الخائفين

على دينهم والمهتمين بنصرته وعلو شأنه، فالدين هو علاقة بين الفرد وربه لا يصح أن يتدخل فيها أو يطَّلع عليها أى إنسان مهما كان شأنه أو مركزه ومهما حسنت نواياه.

فكل شخص يجب أن يوجه المرآه إلى نفسه أولاً ليرى عيوبه ومشاكله قبل أن يوجهها إلى الإخرين .. والمهتم بنصرة دينه، يهتم بنفسه أولاً وبإصلاح عيوبه وأخطائة وأخلاقه قبل أن ينظر إلى الأخرين ويبدأ فى إصلاحهم وتقويمهم ومحاسبتهم، فلا يسرق ولا يكذب ولا يؤذى أخيه فى الوطن سواء مسلماً أو مسيحياً ولا يضر بمصالح بلده ولا يغش فى الميزان ولا يرفع الأسعار ولا يؤذى جاره ولا يلعن ولا يسب ولا يرتشى .... ألخ.

فمن غير المعقول أنه كلما أسلمت فتاة مسيحية أو تنصر مسلم يتهدد الوطن بفتنة طائفية طاحنة تزعزع إستقراره وتهدد أمنه ...

ثم سمع أب ينصح إبنه ويقول له :

هل سألت نفسك لماذا نمشي أحياناً في طريق في حياتنا ثم يصيبنا الفتور في منتصف الطريق؟

لماذا نشعر أحيانًا بأن المحطة التي قادتنا إليها الظروف ليست هى المحطة التي كنا نتمناها؟

لماذا نندم فى شيخوختنا على حياتنا التى مضت دون جدوى أو عائد أو فائدة؟

لماذا لا نسأل أنفسنا قبل أن نبدأ فى أى عمل عما نريده من هذا العمل سواء كان هذا العمل هو وظيفة أو زواج أو ... ألخ

هل سألت نفسك ماذا تريد أن تكون؟ أو كيف ستحقق ذاتك؟.

ماهى أهدافك وإسهاماتك وإنجازاتك التى تريد تحقيقها فى الحياة ؟.

ما هى الخدمات التى ستقدمها للناس و للمجتمع؟ أو بعبارة أخرى ما هى رسالتك فى الحياة؟.

ما هي القيم والأخلاق والمبادئ الأساسية التي تتبناها فى حياتك والتى توجِّه أفعالك وتكوِّن ذاتك وتؤثر على قراراتك.

تخيل أنك تسير في جنازتك ... فقط تخيل.. ثم قل لنفسك ماذا قدمت لهذا اليوم.. بأي عمل صالح تريد أن تقابل الله تعالى؟ ماذا قدمت لدينى ولإسعاد الآخرين؟ وتذكر أنه :

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها * * إلا التي كان قبل الموت يبنيها

تخيل أنك وزوجتك سوف تحتفلان غدًا بمرور ٢٥ عامًا على زواجكما.. ماذا تتمنى أن تكون العلاقة قد وصلت بينكما، أي نوع من الحب سوف يكون قد ربط بينكما.

تخيل وأنت تُزَوِّج أحد أبنائك وهو يسافر إلى خارج مدينتك، ما هي القيم والمبادئ التي تود أن تكون قد غرستها فيه؟ وهل تحب أن يكون امتداد لك أم لا؟

تخيل وطنك بعد عشرين سنة من الآن، ما الذي تحب أن تراه عليه؟ ثم تخيل أنك تنال شهادة تقدير من بلدك.. ترى ماذا ستقدم لبلدك ومجتمعك لكى تحصل منه على هذه الشهادة.

تخيل حفل يقام يوم تقاعدك عن العمل.. ما الإنجاز الذي تحب أن تكون قد أنجزته في نهاية عملك الوظيفي.

ثم اسأل نفسك ماذا تريد أن يقال عنك من جيرانك وأصدقائك وأحبابك وأنت تودع الحياة ؟

أسأل نفسك سؤالاً أخيراً ... ما هي رسالتك فى الحياة ؟؟

وعندما تكتب رسالتك تكون قد حصلت على الميلاد الأول لحياتك ... ويبقى الميلاد الثاني وهو كيفية تحديد أهدافك وتنفيذ رسالتك.

ثم سمع شاب يقول لزملائه الجالسين معه " إيه رأيكم يا جماعة كل واحد يقول مقولة أو حديث شريف أو عبارة أو حكمة سمعها بشرط إنها تكون عجباه ويكون مقتنع بها ...

فكر الأول قليلاً ثم قال " إذا لم تزد على الحياة شيئاً ... كنت أنت زائداً عليها "

رد الثانى " تفائلوا بالخير تجدوه " حديث شريف

الثالث : " ثق بالقدر "

الرابع : إن ما يكتب لك فى السماء هو فى الحقيقة بسبب أفكارك وإعتقاداتك وعملك فى الأرض.

قال الخامس: لا وقت للعيش بسعادة أكثر من الأن.

السادس : إن الكون ينتظر ما تريده حتى يجيب عليه.

السابع : أنت تحقق فى حياتك الذى تفكر وتشعر به معظم الوقت فإذا فكرت معظم الوقت فى المرض وشعرت بأنك ستمرض فستمرض وإذا فكرت فى السعادة معظم الوقت وشعرت بأنك سعيد فستسعد وإذا فكرت فى الغنى وتأكدت بأنك ستمتلك ثروة فستمتلكها ... أى أن كل ما هو موجود فى حياتك أنت السبب فيه سواء كان أمراً إيجابياً أو سلبياً فأعد النظر فى فكرك وشعورك.

الثامن : الحساد هم أناس تعساء يعانون، فلا يمكن لإنسان حسود أن يكون سعيداً.

التاسع : أطمح وتطلع إلى من هم أعلى منك ولكن لا تنظر بإزدراء لمن هم دونك.

العاشر : لو قنع كل إنسان فقط بما عنده، لن يكون هناك تطور وستقف الحياة.

الحادى عشر : إحلم بالمستحيل .. تحقق الممكن.

الثانى عشر : سيكون يومك مشابهاً للتعبير المرتسم على وجهك، سواء كان إبتساماً أو عبوساً.

الثالث عشر : أنا صعلوك .. ظهرت فجأة وسوف أختفى فجأة كعابر سبيل ... " جلال عامر "

الرابع عشر : الأمة التي لا تأكل مما تزرع وتلبس مما لا تصنع أمة محكوم عليها بالتبعية والفناء " مصطفى كامل"

ثم سمع شخص يقول لصديقه " وصحيت يا خويا الساعة ٢ الصبح على صوت الكاسيت بتاع الواد عادل جارنا سواق الميكروباص ... وكان معلى الصوت على الأخر ومشغل أغنية بتقول أن " الدنيا زى المورجيحة ... يوم تحت ويوم فوق " داهيه لما تتحط فوق دماغك يا عادل يا سواق الميكروباص ... الواد يا خويا رحت أقوله يوطى صوت الكاسيت شوية علشان أعرف أنام ساعتين قبل ما اصحى اروح الشغل ... تخيل يرد علىَّ يقولى إيه ؟

رد عليه الثانى : قالك إيه ؟

الأول : " قالى أنا حر فى بيتى ... أعمل اللى انا عايزه ... أبقى حط قطن فى ودانك أو حط دماغك تحت المخدة وقام قافل الباب فى وشى ...

الثانى : عادى ... طب ما أنا فى مرة لقيت الراجل اللى قدمنا طالع البلكونة وهو مش لابس غير شورت بس !!! قولتله يا راجل عيب اللى انت عامله ده ... فى حريم فى المنطقة ... وميصحش يشفوك بالمنظر ده ...

الأول : وقالك إيه ؟

الثانى : قالى يعنى أعملك إيه ... أنا حر فى بيتى ... اللى مش عاجبه يبقى يقفل بلكونته أو شبّاكه.

الأول : ويعنى انت لو لقيت واحد رمى ورقة على الأرض ورحتله وطلبت منه بكل ذوق أنه يشيلها ... وقولتله أن الأرض اللى رمى عليها الورقة دى مش بتاعته لوحده ... تفتكر مش حيقولك نفس الرد ... (أنا حر)

الأول : يا أخى الناس فاهمه معنى الحرية غلط ... كل واحد فاهم أنه حر يعمل كل اللى هو عايزه حتى ولو أذى غيره ... محدش عارف أن كل واحد فينا له حدود لحريته لازم ميعدهاش ... كل واحد فينا حر بشرط أن حريته دى متضرش غيره ومتأذيش حد ... سواء الأذية دى كانت مادية ملموسة أو معنوية فى المشاعر والأحاسيس.

ثم سمع شخص يتكلم مع صديقه الجالس بجواره ويقول له "يا أخى فيه حديث شريف عن الرسول عليه الصلاة والسلام كل ما اسمعه أتعجب ... وكل ما أقرأه أطلع منه بمعانى جديدة وعظيمة "

رد عليه الأخر " بيقول إيه الحديث ده ؟ "

قال له الأول : " أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء "

والمقصود بالظن هنا الغلبة فى التفكير .. أى أن الله سبحانه وتعالى يأتيك بما تظن، فإذا ظننت خيراً جاءك الخير وإن ظننت شراً فلا تلوم إلا نفسك ، أى أن الظن يجلب القدر ... فنص الحديث العظيم " فليظن بى ما شاء " أى ظن ما تظن، سأكون لك كما تظن.

وإلى جانب هذا المعنى فهناك معنى أخر خطير فى هذا الحديث، وهو أن ما يحدث لك الأن أيضاً هو بسبب ظنك ... قل لى ما يحدث لك الأن أخبرك عن ظنك بالأمس، قل لى ما حدث لك بالأمس أخبرك عن ظنك قبيله.

هناك أيضاً سؤال هام : ماذا تظن أن الله جالب لك غداً ؟ ما الذى تظنه عن فعل الله لك الشهر القادم ؟ السنة القادمة ؟ السنوات القادمة ؟ بقية عمرك ؟ قل لى ماذا تظن .. أقل لك ما سيحصل . إكتشف قناعاتك اليوم عن المستقبل، وهذه القناعات هى مستقبلك. وما يؤسفنى بالفعل أن تلك الحقيقة غائبة عن الأغلبية العظمى من الناس ...

رد عليه الأخر : إزاى يعنى ؟

الأول : يعنى معظم الناس للأسف بلاقيهم متشائمين ومعندهمش ثقة فى المستقبل وخايفين من بكرة ... حتى المؤلفين والمخرجين والكتّاب والمثقفين والسياسيين !!!

يعنى تقدر تقولى كم كتاباً عربياً يتحدث عن المستقبل بتفاؤل؟ كم إصداراً سمعت يتحدث عن مستقبل جميل ؟ كم فيلماً عربياً شاهدت يحكى عن المستقبل المنير؟ كم خطبة جمعة حضرت بشّر فيها الخطيب بمستقبل مضئ وحاضر مبشّر؟ كم منهجاً دراسياً فى التعليم يتحدث عن كيفية صناعة مستقبلاً كريماً سعيداً ؟

ثم سمع شخص أخر يقول لصديقه " يا أخى الواد محمود إبنى مغلّبنى وتعبنى أخر تعب ... "

رد عليه الثانى " ليه كده بس ... ده حتى هادى ومجتهد وشاطر فى دراسته "

الأول : " ماهو ده اللى حيجننى يا أخى .."

الثانى : " إزاى يعنى ؟ "

الأول : " الواد زى ما أنت عارف جايب مجموع كبير فى الثانوية العامة ... ويقدر يدخل أى كلية من كليات القمة وهو مستريح .. "

الثانى : " طب وإيه المشكلة .. ما هى دى حاجة كويسة "

الأول : الواد راسه وألف سيف عايز يدخل كلية الفنون الجميلة ... أقوله أشمعنى كلية الفنون الجميلة .. يقولى يا بابا أصلى أنا نفسى أطلع مهندس ديكور ... اقوله يا بنى خسارة تبقى جايب المجموع الكبير ده وماتدخلش كلية الطب أو الهندسة ... يقولى مبحبش الطب والهندسة ... مش لاقى نفسى فيهم ... أقوله هو انت لازم يعنى تحب الكلية اللى حتدخلها ... ادخلها من غير متحبها ... زى كل الناس ما بتعمل .. بتدخل الكلية اللى مجموعها يقدر يجيبها ... بصرف النظر بتحبها ولا لأ ... يقولى أصلى لو دخلت كلية مش حببها مش حبدع فيها، ومش حتميز فيها .. وكلام بتنجان كده ...

الثانى : ده واد غريب فعلاً ... هو فيه حد بيدخل كلية علشان بيحبها !! الواحد بيختار الكلية اللى حيدخلها على أساس مستقبلها أو علشان هى من كليات القمة مثلاً أو علشان مجموعه جايبها أو كده يعنى ...

الأول : بالضبط كده .. الله ينور عليك.

حزن أشرف لهذا الحوار المؤسف الذى سمعه ... والذى أوضح له أن معظم المصريين يرون ان التعليم غاية وليس وسيلة .. فالتعليم بالنسبة لهم ما هو إلا شهادة يفتخرون بها لا يريدون من ورائها سوى التباهى والتفاخر وليس خدمة مجتمعاتهم وأوطانهم، أما إذا إلتحق الطالب بأى كلية أخرى أو إكتفى بالتعليم المتوسط أو الفنى فإنه يعتبر نفسه قد فشل نهائياً فى حياته، ويعتبره المجتمع دائماً أنه أقل من المتعلم الجامعي، مع أن دوره الذى يؤديه فى المجتمع قد لا يقل أهمية عن دور الجامعى أن لم يكن أكثر منه أهمية ... وهذا التفكير هو السبب فى عدم نبوغ شبابنا أو تميزهم فى دراستهم أو عدم وجود علماء بينهم ... فما يجب أن يعلمه الناس، أنه ليس هناك كلية قمة أو كلية قاع، وإنما هناك طالب ناجح يحب كليته ويحب دراسته ويريد أن يتفوق وينبغ فيها، ويرغب فى أن يقضى حياته فى خدمة هذا النوع من العلم، وهناك طالب فاشل يكره كليته ويكره دراسته ومجموعه الذى حصل عليه هو الشئ الوحيد الذى جعله يلتحق بهذه الكلية ... ولذلك يجب أن يكون الأساس فى إختيار الطالب لكلية معينة هو توافق هذه الكلية مع ميوله وقدراته ورغباته، حتى يحب دراسته ويبدع فيها ... ولا يجب أن يضع فى إعتباره أن هذه الكلية من كليات القمة أو أن هذه الكلية مستقبلها جيد ... لأن تميزه وتفوقه وحبه لهذه الكلية التى سيدخلها هو الذى سيحدد مستقبله وليست الكلية فى حد ذاتها، فقد يدخل الطالب كلية الطب ولا يحبها فيتخرج منها طبيب فاشل

غير مستقر إقتصادياً أوإجتماعياً، وقد يدخل معهد الخدمة الإحتماعية بناء على رغبته فيها وحبه لها، فيتخرج منها كأعظم أخصائى إجتماعى ... فيفيد بلده أكثر ويساعد على تقدمها ورفعتها ونهضتها أكثر وأكثر.

ثم سمع شخص يجلس مع مجموعة من أصدقائه ويقول لهم: "هى ليه الناس بقت تعتبر أن العبادات اللى بينها وبين ربنا دى حاجة ... وأن المعاملات اللى بينها وبين البشر دى حاجة تانية خالص ... مع إن الإثنين ماينفعوش من غير بعض، يعنى ينفع يبقى واحد بيصلى وبيصوم وبيحج وبيعمل عمرة كل سنة وفى نفس الوقت بياخد رشوة أو بيهمل فى شغلة أو بيغش أو بيكدب أو بيشتم أو يبقى عارف عيوب السلعة اللى بيبعها وميقلش عليها للزبون ... ويعتبر أن دى شطارة وفهلوة مش قلة دين ...

رد عليه الأخر : للأسف دول مش عارفين أن الدين الحنيف اهتم بالمعاملات والأخلاق كما اهتم بالعبادات بالضبط.

ثم وجد رجلاً يجلس مع مجموعة من الشباب ... وسمع أحدهم يقول له " إحنا كتير بنلاقى أشخاصاً من المفترض أنهم أذكياء وعلى درجة كبيرة من الثقافة، ولكن لا يحققون نفس النجاح الذى قد يحققه غيرهم ممن هم أقل منهم فى التعليم أو الثقافة "

رد عليه الرجل والذى كان يبدو عليه أنه مدرب فى التنمية البشرية " لأن نجاح الإنسان وسعادته في الحياة يتوقفان على مهارات أخرى بجانب مهاراته

العلمية وذكائه العقلى وشهاداته وثقافتة ... ومن ضمن هذه المهارات هى مهارة الذكاء العاطفى".

قال له أحد الشباب: " وما هو الذكاء العاطفى ؟ "

قال له المدرب : " الذكاء العاطفي: هو عبارة عن القدرات والمهارات التى تساعد الإنسان ليكون أكثر تحكماً في انفعالاته وأكثر قدرة على التعاون والتعامل الإيجابي مع نفسه ومع الآخرين وإقامة علاقات أفضل معهم، أى أن الذكاء العاطفى يشمل السيطرة على الإنفعالات ومواجهة الاحباطات، والتحكم في النزوات، ومنع الغضب أو الألم من شل القدرة على التفكير، والشعور بالأمل، والتحكم في المشاعر، والسيطرة على الاندفاع، والتعامل مع الضغط العصبي، والتفريق بين المشاعر التى نشعر بها والأفعال التى نقوم بها، وتعلم كيفية اتخاذ القرار الأفضل عن طريق التحكم أولا في الاندفاع، ثم تحديد الأفعال البديلة، ونتائجها اللاحقة قبل إجراء أي تصرف. وإقامة العلاقات الشخصية الجيدة، والقدرة على الاستماع إلى الآخرين ومقاومة المؤثرات السلبية وتقبل النقد والحوار وأيضاً تقبل رأى الأخر والإعتراف بالخطأ والهدوء عند الإختلاف لكى نصل إلى الإختلاف البناء.

ثم إستطرد المدرب قائلاً : إن الذكي عاطفيا هو الذي لا يتجاهل عواطفه ولا يكبتها إنما يفهمها ويتعامل معها بطريقة إيجابية، حيث إن كبتها يؤدي إلى الاحتقان وينعكس سلبا على صحته النفسية والجسدية ... وهناك قاعدة

أساسية في الذكاء العاطفي تقول : نحن لا نستطيع أن نقرر عواطفنا ولكننا نستطيع أن نقرر ماذا نفعل حيالها فنحن مثلاً لا نستطيع أن نقرر متى نغضب ولكن نستطيع أن نقرر كيف نتعامل مع غضبنا ... وهناك عبارة من كتاب أرسطو تمثل لنا الذكاء العاطفي باختصار وهى:

أن يغضب الإنسان فهذا أمر سهل... ولكن أن يغضب في الوقت المناسب، ومن الشخص المناسب، وللهدف المناسب، وبالأسلوب المناسب، فليس هذا بالأمر السهل.

ثم سأله أحد الشباب عن معنى أن يعيش الإنسان حياته بوعى ؟

رد عليه المدرب قائلاً: إن العيش بوعى من أعظم وأروع الأشياء التى من الممكن أن تحدث للإنسان فى حياته ...

سأله أحد الشباب : وكيف يعيش الإنسان حياته بوعى ؟

رد عليه المدرب : هناك حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيه " منكم من يصلي الصلاة كاملة ومنكم من يصلي النصف والثلث والربع والخمس حتى بلغ العشر" ويقول فى حديث أخر " إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها " أى ليس له منها إلا ما وعى ... وما يقال عن الصلاة يقال عن بقية الأعمال الشرعية والحياتية ... فالخشوع عمق الوعى ... أعمل كل شئ بخشوع وحضور تام ... عندما تقرأ ركز فى القراءة فقط ولا

تفكر فى أى شئ أخر ... عندما تكون فى العمل، كن فى العمل ١٠٠% ولا تفكر فى البيت .. عندما تلعب مع أولادك كن معهم ١٠٠% .. عندما تشاهد فيلماً، عش اللحظة فى الفيلم ١٠٠% .. عدما تقرأ القرأن الكريم، إمتنع عن التفكير فى أى شئ يُخرجك عن تركيزك وتدبرك لمعانيه الجليلة ... عش سريان القرأن الكريم وسياقه وطاقته .. عندما تكتب، عش اللحظة ١٠٠% .. عندما تقود سيارتك، قدها بتركيز ١٠٠% وجنب التفكير جانباً .. عندما تمشى لا تسرح فى الماضى أو فى المستقبل، ولكن عش اللحظة الحالية التى أنت فيها الأن .. تحسس رجلك على الأرض .. لاحظ حركة يديك .. لاحظ الأزهار والأشجار والطبيعة من حولك .. راقب تنفسك .. تحسس جسمك .. عندما تذهب للحمام .. كن واعياً .. عندما تأكل ـ مهما كان ما تأكله ـ كله بمتعة ووعى .. تلذذ فيه .. إستطعمه .. تذوقه .. إهضم ببطئ .. لا تبلع وتدفع .. إنتبه لما تقوم به .. لا تشاهد التليفزيون وأنت تأكل ولا تقرأ ولا تتحدث بكثرة أثناء الأكل .. عندما تشرب الماء، إشربه بوعى وحب وسلام ... عندما تحزن، احزن بوعى .. عندما تغضب، اغضب بوعى .. إفصل الماضى والمستقبل من أى عمل تقوم به .. تواجد فى اللحظة .. إذا أوجدت الوعى باللحظة فى أى موقف تقوم به زال الشر والضرروالغضب والكره والمرض .. لا يتواجد الإثنان معاً .. فالوعى مثل النور، عندما يتواجد يتسرب الظلام .. عندما يتواجد الوعى يتسرب الغضب والكراهية والشر

والعنف والإضطهاد .. أى بإختصار لا تتحدث مع ذاتك ولو فى شئ إيجابى .. لا تتحاور مع نفسك .. لا تسرح فى أى حدث غير الذى أنت متواجد فيه .. لا تسرح فى الماضى . الماضى هو أى شئ مضى عليه ربع ساعة . أو فى المستقبل .. حتى لو كان هذا السرحان أو التحدث مع الذات فى شئ جيد إيجابى فهو أمر ممنوع وغير مرغوب فيه تماماً ... يقول ديل كارنيجى فى كتابه " كيف توقف القلق والأحاسيس السلبية " أن أكثر من ٩٣% من الأحدات التى نعتقد أنها ستتسبب فى الأحاسيس السلبية لن تحدث أبدا، و٧% من الأحداث لا يمكن التحكم فيها كحالة الجو مثلاً أو الموتً ...

دعنى أسألك ... لو أن رئيسك فى العمل طلب منك فى بداية الإسبوع مقابلته فى مكتبه يوم الخميس ... فماذا سيخطر فى بالك ؟ طبعاً ستسأل نفسك العديد من الأسئلة مثل " لماذا يريد مقابلتى؟ " " ماذا يريد منى ؟ " " ما هو الخطأ الذى ارتكبته ؟ " "هل سيقوم بفصلى من العمل ؟ " وستتوقع كل السلبيات .. أليس كذلك؟ هل سيدور فى ذهنك بدلاً من كل هذه السلبيات تكهنات مثل " ترى كم ستكون العلاوة التى سيمنحنى إياها ؟؟ بالطبع أشك فى هذا ... وأخيراً يأتى يوم الخميس وأنت تنتظر إحدى المصائب ثم تفاجأ بأن رئيسك يقابلك بإبتسامة عريضة قائلاً لك " كل عام وانت طيب .. أردت أن أكون أول المهنئين بعيد ميلادك اليوم "

وهكذا تكون قد حمّلت نفسك بكل هذه الهموم والأحاسيس السلبية مقدماً وبدون أى داعى.

دعنى أسالك سؤال أخر ... هل حدث أن دخلت فى جدال مع شخص وبعد أن تركك هذا الشخص أخذت تسترجع الحديث الذى دار بينكما مع إضافة عبارات كنت تتمنى أن تقولها وقت الجدال الأصلى مثل "كان المفروض أن أقول له كذا وكذا " أو " فى المرة القادمة سأقول له أن ينتبه جيداً مع من يتعامل " وتظل هكذا على هذا المنوال إلى أن تفقد صوابك.

هل تعلم أن القلق والتوتر يتسببان فى أكثر من ٧٥% من الأمراض بما فى ذلك ضغط الدم والسكر والنوبات القلبية ... أى أنك بكامل إرادتك تصيب نفسك بالأمراض عن طريق التحدث إلى نفسك والتفكير بطريقة سلبية ... لذلك فإن التحدث مع الذات هو " القاتل الصامت "

سأله أحد الشباب : وكيف أرجع للوعى عندما أفقده ؟

رد عليه المدرب : عندما تخرج من الوعى، فهذا يعنى بدأ التفكير فى الماضى أو فى المستقبل أو فى الأمكنة الأخرى غير المكان الذى أنت موجود فيه الأن .. كل ما عليك فعله ببساطة أن توقف التفكير فى الماضى أو فى المستقبل وترجع فوراً بتفكيرك إلى الحاضر واللحظة التى انت بها .. أرجع إلى ما تفعله الأن دون أى دراما.. تجنب دراما التأنيب

والشعور بالفشل والملل والإحباط .. حتى تتعود على هذه الإستراتيجية الجديدة الرائعة ... ويصبح التفكير فى الحاضر واللحظة فقط، هو عادة لديك لا تبذل أى مجهود فى فعله.

ثم سأله شاب أخر عن الإسترخاء وفائدته وكيفية ممارسته ؟

رد عليه المدرب : إن من أعظم الأشياء التى من الممكن أن يفعلها الشخص فى يومه هى الإسترخاء ... فالمواظبة اليومية على الإسترخاء هى الحل السحرى لكل ما قد يعانيه الشخص من توترات ومشاكل ومشاحنات وعصبية وغضب وأمراض ... أى أن ممارسة الإسترخاء كفيلة بإحداث تغيرات جذرية إيجابية فى شخصية كل من يمارسها ... بعبارة أخرى إن الإسترخاء قادر على تحويل أى شخص إلى إنسان عظيم ناجح إيجابى ...

سأله أحد الشباب عن كيفية ممارسة الإسترخاء ؟

رد عليه المدرب : الإسترخاء ببساطة هو أن تجلس بمفردك لمدة ١٠ دقائق تقريباً كل يوم بعيداً عن أى إزعاج أو ضوضاء أو أشخاص أو أى أحاديث ... وتغمض عينك ولا تفكر أو تركز فى أى شئ سوى فى نَفَسَك الذى تتنفسه ... ركز فى الشهيق الذى تأخذه وفى الزفير الذى تُخرجه ... مجرد تركيزك فى الشهيق والزفير سيجعلك لا تفكر فى أى شئ أخر ... إحرص على أن لا يكون تنفسك عميق بأن تُطيل فى الشهيق أو الزفير

بشكل غير عادى حتى لا تتعب... كل ما عليك أن تتنفس بشكل طبيعى وبتلقائية شديدة ... وإذا فقدت تركيزك فى تنفسك وفكرت فى أى شئ أخر، فلا تغضب أو تيأس أو تأنب نفسك أوتشعر بالفشل والملل والإحباط ولكن فقط أوقف التفكير فى هذه الفكرة وإجعلها تخرج من رأسك ببساطة وهدوء وبدون عصبية، وارجع مرة أخرى إلى تركيزك فى تنفسك ... ولا يشترط أن تقضى فترة الإسترخاء اليومية كلها فى جلسة واحدة مدتها عشر دقائق بل من الممكن أن تقضيها على جلستين مدة كل جلسة خمس دقائق بحيث من الممكن أن تقضى جلسة فى الصباح فور الإستيقاظ من النوم مباشرة وهو الوقت الذى يكون التركيز فيه أعلى وأقوى، والجلسة الأخرى من الممكن أن تكون فى المساء قبل النوم مباشرة.

وطلب المدرب من الشباب أن يمارسوا الإسترخاء يومياً حتى يصبح عادة لديهم يمارسونها بتلقائية دون بذل أى مجهود منهم، ووعدهم بأنهم بعد فترة ليست طويلة سيلاحظوا التغيرات الإيجابية العظيمة التى ستطرأ على شخصياتهم

ثم سمع شخص يقول لأصدقائه الجالسين معه وهو ينظر إلى لابتوب أمامه " إسمعوا يا جماعة ... سأقرأ لكم تجربة رائعة لشاب مصرى عظيم إسمه نبيل الموجى إستطاع أن يزرع أشجار تسمى (الجوجوبا)، ويعتبر هو

رائد زراعة الجوجوبا فى مصر، وهذه هى تجربته كما يرويها هو على الإنترنت "

يروى نبيل الموجى أن البداية كانت فى شتاء عام ١٩٨٤ فى الطائرة أثناء رحلة عمل فى مجال الكمبيوتر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث قرأت فى إحدى المجلات الأمريكية خبراً صغيراً عن مصر مفاده أن مصر إستوردت عام ١٩٨٠ أربعون بالمائة (٤٠%) من إحتياجاتها الزراعية ومن المتوقع أن تستورد عام ٢٠٠٠ ثمانون بالمائة (٨٠%) من إحتياجاتها الزراعية، وشعرت ساعتها بألم كمصرى لتقديرات هؤلاء الخبراء وقررت أن أستثمر فى مجال الزراعة فى مصر وذلك للمساهمة فى تخفيف الإحتياجات الإستيرادية بشرط أن يكون إستثمارى فيه إضافة حقيقية للزراعة، ثم قرأت مقالاً فى إحدى الصحف العربية عن زراعة الصحراء، حيث ذكر كاتبه إننا كعرب نشتكى من أن أغلب أراضينا صحراء قاحلة والمياه قليلة، بينما هناك نباتات تناسبها هذه الظروف وعائدها مجزى جداً وعلى رأسها شجيرة الجوجوبا ومنذ هذا التاريخ بدأت رحلتى مع الجوجوبا، حيث بدأت فى تجميع كل المعلومات المتاحة عنها وبعدما تأكدت من أن الجوجوبا من أنسب النباتات للزراعة فى الصحراء المصرية، قررت أن ازرعها لتكون إضافة جديدة وحقيقية للزراعة المصرية يستفيد منها كل زارعى الصحراء.

وعلى هذا الأساس قمت بشراء مزرعة فى الإسماعيلية مساحتها عشرون فدان تروى بمياه آبار بها نسبة ملوحة متوسطة. وقمت بتقسيم أرض المزرعة إلى

أربعة قطع كل قطعة مساحتها حوالى خمسة أفدنة، وزرعت مساحة خمسة أفدنة الجوجوبا وتم زراعة نخيل حولها، وقد ثبت لى خلال السنوات الماضية أن الجوجوبا من أنسب النباتات للزراعة فى الصحراء المصرية للأسباب التالية:

أ . إحتياجاها القليل للمياه وقدرتها الكبيرة على تحمل العطش لفترة يمكن أن تصل إلى عدة أشهر.

ب . تحملها للملوحة.

ج . قلة حاجتها للرعاية من ناحية التسميد والتقليم والخدمة

د . ندرة إصابتها بالأمراض وقلة حاجتها للرش الوقائى أو العلاجى.

هـ . مناسبة جو الصحراء المصرية لها حيث تحتاج للحرارة صيفاً وبرودة لاتصل لدرجة التجمد شتاءاً.

و . إنتاجها آمن، بمعنى أنه لاينتفع به غير المتخصصين فلذلك لايحتاج إلى حراسة.

ز . يمكن جمع الإنتاج فور نضجه أو بعد ذلك بفترات طويلة وذلك عند توفر العمالة اللازمة للجمع كما يمكن تخزين المحصول لفترات طويلة.

ح. تكلفة إنتاج الهوهوبا فى مصر تعتبر أقل تكلفة فى العالم حيث أنها تحتاج إلى عمالة فى جمعها مما يكسبنا فى مصر مزايا هائلة فى إنتاجها وتصديرها، لإستفادتنا من ميزة إنخفاض تكلفة العمالة فى مصر، والتى يعتبر تشغيلها حلاً لمشكلة البطالة.

أما بالنسبة لإستخدامات منتجات شجيرة الجوجوبا محلياً فهى من أهم عوامل نجاح إنتشار زراعة نبات الجوجوبا فى مصر، فمن الممكن إستحدام زيت الجوجوبا فى العديد من الصناعات المختلفة.

ويتضح مما سبق مدى أهمية شجيرة الجوجوبا ومدى ملائمتها من الناحية الزراعية والإقتصادية حيث تعتبر هذه الشجيرة أحد الحلول الإستراتيجية لتنمية الصحراء المصرية خلال القرن القادم.

وقد قامت منظمة اشوكا العالميه باختيار رائد زراعة وتصنيع الجوجوبا فى مصر (نبيل الموجى) فى عام ٢٠٠٧ كأحد زملاء (اشوكا) والذين يتم اختيارهم على اساس انهم يقدمون خدمات جليله لبلادهم دون النظر للعائد المادى منها حيث يطلق عليها اسم المبدعين الاجتماعيين والذين يساهمون فى تقدم مجتماعتهم ويسعون لرفعة اهلها.

أيضا كان يتكلم البحث عن إمكانية وجدوى زراعة النخيل فى صحراء مصر،، فالنخيل مثل الجوجوبا ينجح زراعته فى صحراء مصر لأنه يتحمل قلة الماء فلماذا لا نفعل مثل ماليزيا التى زرعت مليون شتلة نخيل الزيت لتصبح أولى دول العالم فى إنتاج وتصدير زيت النخيل !!!

بالإضافة إلى ذلك تتوافر فى صحراء مصر أنواع من الرمال التى تصلح للصناعات التكنولوجية مثل أشباه الموصلات والترانزستور والدوائر المتكاملة وخلايا تخزين الطاقة الشمسية، وهى صناعات متقدمة ومربحة وتمتلك مصر

كل مقومات هذه الصناعة من مواد خام وقدرات علمية قادرة على تنفيذها من مهندسين وفنيين.

أيضا تمتلك مصر كميات هائلة من بعض أنواع الرمال التى تصلح لتصنيع أنواع عديدة من الزجاج. ثم سمع أخرين يتكلمون عن ماليزا التى قررت أن تكون الأولوية للتعليم والإستثمار فى الأطفال فقد أنفقت ماليزيا ما يفوق ٢٠% من ميزانيتها على التعليم والتدريب وتأهيل الحرفيين والبحوث العلمية ومحو الأمية ... كما أرسل عشرات الآلاف كبعثات للدراسة في أفضل الجامعات الأجنبية ... وقامت ماليزيا بعمل إستراتيجية للتعليم خلال عشر سنوات، تغيرت على أساسها المناهج وطرق التدريس على إعتبار أن التعليم وسيلة لهدف ما وليس غاية بحد ذاته ... الأمر الذى حقق لها بعد عشر سنوات من ذلك التاريخ أن أصبحت من الدول الصناعية الأولى فى العالم.

وقد ذكر تقرير أصدرته الأمم المتحدة بأن ماليزيا واحدة من عدة دول أسيوية مارست الإستثمار الناجح فى الأطفال وتربيتهم من سن صفر حتى ثلاث سنوات من خلال برامج مدروسة ومخططة ومن خلال تحقيق الرعاية الصحية والتعليمية للأطفال فى سن مبكر جداً.

إلى هذا الحد قرر أشرف أن ينهض ليستعد لصلاة الجمعة قبل أن يداهمه الوقت ويتأخر عن أدائها ... مشى أشرف قليلاً حتى وجد مسجد صغير على بعد خطوات منه، فدخله وتوضأ وجلس ينتظر حتى يؤذن للصلاة ... وبعد

عدة دقائق أُذِّن للصلاة ثم إعتلى المنبر شيخاً كبيراً يتجاوز الستين من عمره، وتبدو عليه علامات الحكمة والفطنة ورجاحة العقل وبدأ خطبته بكلام الدكتور عائض القرنى فقال " إعلم إنك إذا ذهبت تدقق وراء كل جملة وتبحث عن كل مقولة قيلت فيك وتحاسب كل من أساء إليك وترد على كل من هجاك وتنتقم من كل من عاداك، فأحسن الله عزاك فى صحتك وراحتك ونومك ودينك واستقرار نفسك وهدوء بالك، وسوف تعيش ممزقاً قلقاً مكدراً، مشغول البال، منغص العيش، كئيب المنظر، سيئ الحال ... عليك باستخدام منهج التطنيش فإذا تذكرت مآسى الماضى فطنش، وإذا طرقت سمعك كلمة نابية فطنش، وإذا أساء إليك مسئ فاعف عنه وطنش وإذا فاتك حظ من حظوظ الدنيا فطنش، لأن الحياة قصيرة لا تحتمل التدقيق، بل عليك بمنهج القرأن (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وهناك مقولة شهيرة لأبو الطيب المتنبى يقول فيها " فعشت ولا أبالى بالرزايا لأنى ما انتفعت بأن أبالى "

فعليك أن تأخذ الأمور بهدوء وسهولة واطمئنان ولا تُقم حروباً ضارية فى نفسك فتصاب بالأمراض والتوترات. لقد علمتنا الشريعة الإسلامية أن نواجه أهل الشر والمكروه والعدوان بالعفو والتسامح والصبر والصفح. وكن كالنخلة إذا رماها شخصاً بحجر رمته بتمرها.

انغمس فى عمل مثمر مفيد يشغلك عن الصغائر والتفاهات والحماقات، إذا رفع سفيه صوته بشتمك فقل له" سلام عليك " ما لدينا وقت " وإذا نقل لك

غبي تافه كلاماً قبيحاً من عدو فقل له " سلام عليك " ما سمعنا شيئاً، وإذا تذكرت أنه ينقصك مال أو عندك أزمة أو عليك دين، فتذكر النعم العظيمة والكنوز الكبيرة التى عندك من فضل الله من سمع وبصر وفؤاد وعافية وستر وأمن ودين وذرية وغير ذلك لتجد أن الكفة تميل لصالحك، أفضل رد على النقاد والحساد هى الأعمال الجليلة والصفات النبيلة والأخلاق الحميدة.

ثم تكلم عن قانون كونى يسمى " قانون الرجوع " وينص هذا القانون على أن الطاقة التى تهديها للناس ترتد إليك من نفس نوعها ... فإذا أهديت لمن ظلمك وعاداك طاقة إيجابية بأن عفوت عنه وسامحته ودعوت له بالهداية والإصلاح، فسترتد إليك نفس الطاقة الإيجابية التى أهديتها له، أما إذا بعثت إليه طاقة سلبية بأنك كرهته وحقدت عليه ودعوت عليه، فسترتد إليك نفس الطاقة السلبية التى بعثتها إليه.

ثم تكلم عن بر الوالدين وأهميته فى الفوز برضى الله وعفوه وكرمه ودخول الجنة وذكر أن الله فضل بر الوالدين عن الجهاد فى سبيل الله، ثم نهى عن الذنوب والمعاصى وضعف الإيمان وعدم الإحسان إلى الأهل وعدم صلة الرحم لما تؤدى إليه من سخط الله ومقته وغضبه وضياع بركة الوقت.

ثم قال أننا أيضاً أصبحنا لا نشعر ببركة فى أموالنا ونقودنا بسبب تقصيرنا فى أعمالنا ومهام وظائفنا، فأصبحنا نذهب فى الصباح إلى وظائفنا متأخرين وننصرف منها مبكرين، وما بين الحضور والإنصراف نقوم بتضييع الوقت فى الكلام والأكل والشرب والمكالمات الشخصية وقراءة الجرائد والإنترنت،

ونظل ننظر فى ساعاتنا منتظرين أن يحين وقت الإنصراف لنخرج سريعاً وكأننا كنا محبوسين أو معتقلين بداخل الشركة. مع أن الله تعالى قدَّم الذين يضربون فى الأرض يبتغون من فضله على المجاهدين بقوله تعالى" وأخرون يضربون فى الأرض " (سورة المزمل) وبالتالى فإنه يخطئ من يظن أن الجهاد ضد الفساد أو ضد نظام الحكم الظالم أفضل من العمل والإنتاج والسعى لطلب الرزق الحلال، وقد روى أن عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) كان يقدم درجة الكسب على درجة الجهاد فيقول : " لأن أموت بين شعبتى رجلى أضرب فى الأرض أبتغى من فضل الله أحب إلىَّ من أن أقتل مجاهداً فى سبيل الله "

وقد بين رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فضل العمل على الجهاد بقوله : "الجهاد عشرة أجزاء، تسعة منها طلب الحلال" . ويستفاد من ذلك أنه بالكسب الناتج عن العمل يتمكن الإنسان من أداء جميع أنواع الطاعات من الجهاد والحج والصدق وبر الوالدين وصلة الأرحام والإحسان إلى الأقارب والأجانب، وفى التفرغ للعبادة لا يتمكن الفرد إلا من أداء بعض العبادات كالصلاة والصوم، كما أن العمل والكسب الحلال يكفران الذنوب لقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ " إن من الذنوب ذنوباً لا يكفرها الصوم ولا الصلاة " قيل فما يكفرها يا رسول لله؟ قال " الهموم فى طلب المعيشة " وقال أيضاً " أفضل الأعمال الإكتساب للإنفاق على العيال "

ثم تطرق إلى أن أفضل العبادات فى أى وقت هى العبادة التى تتناسب مع ذلك الوقت ووظيفته، فأفضل العبادات فى وقت الجهاد هى الجهاد وإن آل ذلك إلى ترك الأوراد من صلاة الليل وصيام النهار، والأفضل فى أوقات السحر الإشتغال بالصلاة والقرأن والدعاء والذكر والإستغفار. فإذا أذن المؤذن أيهما أفضل قراءة القرأن أم إجابة المؤذن؟ فبالرغم من أن قراءة الحرف فى القرأن بعشر حسنات وتتضاعف إلى سبعمائة ضعف إلا أن الأفضل فى هذه الحالة هو ترديد الأذان، والأفضل فى أوقات الصلوات الخمس هو إقامتها على وجهها الصحيح، والأفضل فى أوقات وجود المحتاج هو مساعدته بالجاه أو البدن أو المال وإغاثة الملهوف ولو أدى ذلك إلى ترك الأوراد والأذكار وقراءة القرءان، والأفضل فى العشر الأواخر من رمضان هو الإقامة فى المسجد والخلوة والإعتكاف دون التصدى لمخالطة الناس والإشتغال بهم. وعند مرض المسلم فالأولى عيادته، وعند موته فالأفضل حضور الجنازة والتشييع،وعند فساد الناس الأفضل الإشتغال بإصلاحهم ودعوتهم إلى الله عز وجل بالحكمة والموعظة الحسنة ... إذن فى النهاية يجب أن ننشغل فى كل وقت بما هو أهم وأولى وأفضل.

عند هذا الحد رن جرس المنبه فاستيقظ أشرف من نومه وإلتفت حوله ليجد نفسه على سريره... ثم سمع صوت زوجته بخارج الحجرة وهى تقول له " أصحى بقى يا أشرف لحسن تتأخر على الشغل "

إكتشف أشرف أن كل ما سبق كان مجرد حلماً قد رأه فى منامه .. ثم بدأ يستعد للذهاب الى عمله .. وكان يبتسم فى الطريق لعمله كلما تذكر تفاصيل هذا الحلم.

نبذة عن المؤلف

شريف كمال

– مصر

أعمال سابقة:

– لا يوجد